مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد
الخامس عشر
1998

1428 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1998 أفرنجي

مصادر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا

الدكتور: عمارة بيت العافية

نيجيريا بلاد لم يدوّن تاريخها القديم والوسيط، وحتى الحديث لم يكتب تفصيلاً ـ حسب علمي ـ وإذا عرفنا أن أقدم مؤلّف حاول صاحبه كتابة شيء عن تاريخ المنطقة، هو: (إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور)، عرفنا أن الغموض قد لفّ تاريخ هذه المنطقة التي ترجع بدايات معرفتها بالعرب إلى عصور ما قبل الإسلام، وترجع معرفتها بالإسلام إلى القرون الأولى منه.

ومما يلاحظه المتتبّع أن المحدثين الذين كتبوا في تاريخها قد ركنوا إلى تدوين ما يروى وتتناقله الأجيال شفاهاً، وهو ـ بدون شك ـ لا يمثّل الحقائق التاريخية، لأنّه ليس رواية لأحداث معاصرة للرواة، بل تجد أنّهم يروون عن أحداث ومجموعات بشرية يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل الإسلام، وهكذا عبر

العصور المتلاحقة، بدون قطع بسند محدد أو سنة بعينها أو أصل لجماعة ما، حتى ركن بعضهم إلى تخمينات أيدها بالملامح الجسدية وتقاطيع الوجه، والأغرب ذهاب البعض إلى نسبة إحدى اللغات المحلية ومتكلميها إلى شعب الملايو لمجرد الالتقاء في كلمتين (فقط).

وهكذا يصبح من المتعذر الوقوف على القول الفصل في أكثر المسائل التي يود أي باحث له اهتمام معرفتها فيما يتعلّق بالهجرات والثقافة العربية الإسلامية وانتشارها في المنطقة. ولا أدّعي في محاولتي هذه لتتبع مصادر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا أنني أغطّي على كل ما دوّن بالخصوص، إذ يخرج من الدائرة ما كتب بلغات غير العربية، كما لا يخفى أن الجهد قد تندّ عنه بعض المؤلّفات ذات الفائدة الغزيرة في صلب الموضوع، إما لعدم الوقوف عليها أو للاختلاف في عدّها مصدراً.

ويمكن القول ـ دونما حذر ـ إن التأثير العربي واضح في بنية المجتمع النيجيري المعاصر، فبعض المجاميع البشرية تقرّ بأن أصولها عربية انحدرت من اليمن أو من عموم الجزيرة، ومن الشمال الإفريقي لأسباب يغلب عليها التدافع البشري أو النزوح بسبب الكوارث.

ويغلب دين الإسلام على سواه، إذ يمثّل المسلمون أكبر نسبة من سكان البلاد، وتبدو بجلاء آثار اللغة العربية في أشهر اللغات النيجيرية الحوساوية والفلّانية والكانورية، بل وفي لغة اليوروبا، الأبعد مكاناً عن التأثير العربي إذ تقع بلادهم في جنوب غرب نيجيريا. بل ومن الباحثين النيجيريين المعاصرين من يشير إلى أصولهم العربية، ويذهب إلى أن لفظة يوروبا هي لفظة (عروبة)، مع تحريف اقتضاه اللسان المحلّي ويضاف إلى ما عرف من وصول الثقافة العربية الإسلامية إلى المنطقة ما عرف منذ القدم من تجارة بين السودان الغربي وشمال إفريقيا، وقد كانت برنو وكنو من أشهر مقاصد التجار عبر القرون، إضافة إلى كل ذلك فقد عززت الاكتشافات الأثرية العلاقة مع المنطقة العربية إذ وجد أن كثيراً من المكتشفات ذات شبه بما اكتشف في مصر.

ومع أن ظروف اقتناء الكتاب النيجيري والاطلاع عليه ليست بدرجة من اليسر ـ كما يتصور كثيرون ـ لكن الشهور التي أتيحت للإقامة في كنو أوعزت

بالبحث عن المؤلّفات النيجيرية، التي رأيت أن بعضها يعدّ مصادر للثقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد.

وقد كانت مقومات إدراج المؤلّفات ضمن هذه المصادر، ما يحويه كل منها من تاريخ للمنطقة في صورة عامة، أو في تفصيلات تتعلّق بدخول العرب والإسلام إليها. وكذا ما اهتم من هذه المؤلّفات بتواريخ دخول العلوم إلى المنطقة، والكتب التي تخدم تلك العلوم، وكذا العلماء والدعاة والشخصيات ذات التأثير الديني واللغوي.

المجموعة الأولى

1 ـ إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ:

مؤلّفه هو عبد الله بن فودي شقيق عثمان بن فودي المصلح المجاهد الكبير. ولد سنة 1765م وتوفي سنة 1828م. وله دور بارز في حركة أخيه؛ جاهد معه وخلفه على أحد شطري الدولة. له تآليف كثيرة، اطّلعت على مسرد لها وصلت فيه أربعة وثمانين مؤلّفاً. تبحّر في علوم متعددة، وله منظومات طوال بعضها في العلوم المختلفة وبعضها في الجهاد.

ومن بين مؤلّفاته كتابه: (إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ). أول من نشر هذا الكتاب هو هكست في مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن في عام 1957م، وقد نشر الأصل العربي مع ترجمة إنجليزية ودراسة جعلها مقدمة[1]. ثم ظهرت للكتاب طبعة أخرى في زاريا.

الكتاب صغير الحجم، تجيء أهميته من حيث جمعه لأساتذة عبد الله بن فودي، وبيان العلوم التي أخذها عنهم، والتي تنوّعت وتوزعت في العلوم القرآنية والحديث والفقه، ومختلف علوم اللغة وآدابها.

---

(1) أحمد محمّد البدوي، إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ، تحقيق ودراسة، جامعة صكتو، (مطبوعة على الآلة الكاتبة تبدو أقرب لأن تكون بحثاً قدّم لمؤتمر علمي. وهي تخلو من التاريخ ومن أي معلومات أخرى)، ص: 17.

ويدلّنا الكتاب على أسماء كثيرة اشتغلت بتدريس العلوم الدينية واللغوية. كما يدلّنا في تفصيل على تلك العلوم على أيام المؤلّف. ويدلنا ـ كذلك ـ على ما كان يتداول من الكتب التي تخدم تلك العلوم مثل الأخضرية والعشماوية ورسالة ابن أَبي زيد وألفية العراقي في الحديث وصحيح البخاري والعشرينيات والمختصر وشرح الخرشي ومقامات الحريري وقطر الندى وشرحه للمارديني وشذور الذهب، وشرحه بلوغ الأرب، وخلاصة ابن مالك، مع شرحه والبهجة المرضية للسيوطي والتحفة الوردية وشرحها للشيخ محمّد الوالي والخلاصة وشرحها المنهج السالك للأشموني، والفريدة للسيوطي، والدرر اللوامع، والرامزة في علم العروض والقوافي، والترياق في علم الأوفاق، والورقات لإمام الحرمين في علم أصول الفقه، والتلخيص مع شرحه، وألفية المعاني مع شرحه، والجوهر المكنون مع شرحه، وشرح النقاية للسيوطي، والقرافي والكوكب الساطع، وجمع الجوامع مع شروحها، والكوكب الساطع، وألفية الأثر، ومنظوم ابن البري، وقصيدة الشاطبي في القراءات.

واستوقفتني لمحة أحببت تدوينها أوردها عبد اللّه بن فودي، هي: «والشيوخ الذين أخذت العلم عنهم لا أحصيهم الآن، ولكن هؤلاء مشاهيرهم، وكم عالم أَو طالب علم أتانا من الشرق فاستفدت منه ما لا أحصيه»[2]، وما استوقفني هو تنويهه بطلاّب العلم وإشارته المتواضعة لأخذه عنهم. كما تدلّنا عبارته على اتصال بالمشرق واستفادة مباشرة منه.

2 ـ إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور:

مؤلّفه: محمّد بلو ابن الشيخ عثمان بن فودي، و(بَلّو) بفتح الباء وتشديد اللام، وقد تحذف الواو وتكتب (بَلُ)، ومعناها في لغة الفلاّن المساعد أَو المعين.

ولد يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف، ونشأ في طلب العلم، صحب شيخه (أباه) وخدمه وجاهد وفتح بلاداً

(2) أَحمد محمّد البدوي، نفس المرجع السابق، حيث ألحق به كتاب إيداع النسوخ، ص: 27.

كثيرة، كما تعلّم على يد عمه عبد اللّه بن فودي، اشتغل بالحروب والسياسة والإدارة وكتب كتباً عديدة.

كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب الفرد سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف (الموافق 1837م).

وكتابه: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، هو: «أول كتاب تاريخي جمع أخبار بلاد السودان الشرقي والسودان الغربي وحوى سير العلماء والسلاطين»[3]. وفي مقدمته يقول مؤلّفه: «إن نفسه بقيت تتشوف إلى تاريخ ما وقع في هذا الزمان من خبر خصوصاً مع إضافة ما وقع قبل في هذا القطر من العجائب والغرائب وأخبار الملوك والعلماء، وتستلذ عند سماعه الأسماع في النقل، فجعلت أقدّم رجلاً وأؤخّر أخرى علماً مني بأنه لم يستصبح أحد قبلي في هذا الظلام فأقتبس من سراجه في هذا المرام، مع ما أنا بصدده من الأشغال وضيق الزمان»[4].

حاول المؤلّف الإحاطة بشيء من تاريخ المنطقة التي حدّدها بفور شرقاً (في جمهورية السودان حالياً) ثم وادي وباغرم، ويضع حدوداً للمنطقة التي يؤرّخ لها ففي الشمال الصحراء (الكبرى)، وفي الجنوب بلاد كثيرة يعمرها أجلاف السودان على اختلاف ألسنتهم (وهي ما يمكن أن نطبّقه حالياً على بلاد إفريقيا الوسطى والكاميرون وشريط ساحل الأطلسي حتى غينيا غرباً، أمّا الحدود الغربية للمنطقة التي يؤرّخ لها فقد حدّدها ببلد فوت بالسنغال وما وراءها وما والاها).

ومع أن هدف التعريف بالكتاب لا يتطرّق إلى حد إجراء دراسة نقدية له، لكن يبدو أن المؤلّف توسّع في إطلاق تسمية (تكرور) على منطقة واسعة.

---

(3) محمّد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، نشرته: وزارة الأوقاف ـ القاهرة، 1964م. والفقرة من تعريف بحياة المؤلف ورد في مستهل الكتاب، كتب التعريف: الشيخ أبو بكر محمّد غمي، قاضي قضاة شمال نيجيريا 1963م.

(4) محمّد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: 26.

يصف المؤلِّف بَرْنو وسكانها، ويترجم في اختصار لبعض علمائها، فيذكر البكري، وأبا بكر الباركوم وابن آجروم، والطاهر بن إبراهيم. ويقول: «ومنهم غير هؤلاء، ضاعت آثارهم لما قدّمنا من عدم تسجيل التواريخ في هذه البلاد»[5].

ويصف بلاد أهير (في النيجر حالياً)، ويعرّج على ذكر بعض علمائها، ومنهم: الفقيه عبد اللّه الأنصمني المسوفي، صاحب أجوبة الفقير التي أجاب فيها أسكيا الحاج محمّد، ومنهم: النجيب بن محمّد شمس الدين التكداوي الأنصمني، ومنهم الشيخ محمود البغدادي.

ويجول المؤلِّف بقلمه في بلاد حوس (الهوسا): كاشنه وزكزك وغوبر وكنو، ويترجم لبعض أعلامها فيذكر: عبد اللّه سك الفلاّتي البغاوي، ومحمّداً الكشناوي الفلاتي، والقاضي محمّداً بن أَحمد بن أَبي محمّد التاذختي، وابن الصبّاغ، ومحمّداً مسنة، وهاشماً وابن أتاكم، وهارون الزكزكي، ورمضان بن أَحمد (وأصله من فزّان)، وعمر بن محمّد بن أَبي بكر الترودي، وعليّاً جب، وجبريل بن عمر، ومحمّداً المنقوري.

ثم يترجم المؤلف لوالده أَبي محمّد عثمان بن محمّد بن عثمان بن فودي، ثم يفيض في ذكر الغزوات التي قاموا بها حتى استتب أمر الدولة، وجرت مراسلات التأييد لقيامها.

طبعت الكتاب ونشرته: إدارة الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف، القاهرة، سنة 1964م، ولم تظهر له بعد طبعة تالية ـ حسب علمي ـ وهو مفقود في سوق الكتاب في نيجيريا، والحصول عليه نادر ويحتاج إِلى بحث وصبر وثمن مضاعف(*).

وللمؤلّف كتب متنوعة لا زالت كلها مخطوطة في أدراج المكتبات العامّة والخاصّة، منها: كف الإخوان عن اتباع خطوات الشيطان، وشفاء الأسقام في

---

(5) محمّد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: 38.

(*) أعيد تحقيقه وطبعه في المغرب (التحرير).

ذكر مدار الأحكام، والغيث الوابل في سيرة الإمام العدل، والبدور المسفرة في الخصال التي تدرك بها المغفرة، وروض الأفكار. وله ـ كذلك ـ مقالات، منها: تنبيه أهل الفهوم على وجوب اجتناب أهل الشعوذة والنجوم، ورفع الشبهة في التشبّه بالكفرة والظلمة، وتنبيه الإخوان على أحكام الأمان، وتنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة، والقول المنعوت في النفقة والقسم في المبيت، ونصح كاف وللأمراض شاف، والتحرير في قواعد التبصير، وجلاء الصمم في مرض الأقوال والأفعال والهمم.

3 ـ الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960م عام الاستقلال[6]:

مؤلّفه الدكتور علي أَبو بكر، والكتاب في الأصل رسالة دكتوراه قدّمت لكلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1967م، ثم طبع الكتاب طبعته الأولى سنة 1972م في بيروت والكاتب نيجيري، واصل دراساته العليا في مصر، وأنجز قبل عمله هذا رسالة ماجستير، عنوانها: (فن السيرة في الأدب الحديث)، لم أقف عليه مطبوعاً، ولم أقف على ترجمة للكاتب، ولا يدلّنا ما بين دفتي الكتاب على كثير يخصه غير معاناته في تحرير رسالته مما كلّفه جهداً في تتبّع مادتها من المكتبات والشيوخ مع انشغاله بالتدريس في كنو وسفره المتكرر بين مصر ونيجيريا، إضافة إلى إلماحات تبيّن تأثره بثورة 23 يوليو وزعيمها عبد الناصر، من خلال تحدّثه عن أن المبتعث للدراسة يتعلّم فوق العلم حب الوطن. سمعت في كنو أن المؤلف توفي لسنوات مضت.

يستهل المؤلف كتابه بلمحات عن تاريخ نيجيريا في القرون الوسطى، ودخول الإسلام إليها، ويتكلّم عن مملكة صنهاجة الجنوب، ودولة المرابطين، ومملكة غانا، ومملكة مالي، ومملكة صنغاي (بجاو)، ومملكة كانم وبرنو. ولا يجد المؤلف فرصة لربط مجريات الأحداث في تلك الممالك بنيجيريا إلاّ وأشار إليها.

---

(6) علي أَبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960م عام الاستقلال، ط: 1، بيروت، 1972م.

ثم تكلّم عن الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في نيجيريا من أوائل القرن الثامن عشر إلى سنة 1960 عام الاستقلال، فذكر انتشار الطُرق الصوفية فيها، وظهور عثمان بن فودي وجهاده، وتكلم عن التعليم العربي والحياة الدينية في القرن التاسع عشر، فذكر مدارس تحفيظ القرآن الكريم والمعاهد الدينية في سوكوتو وغوند وكنو وكشنا وزاريا وبوثي وبرنو وأدماوا وبِدّا وإلورن وإبادن ولاغوس، ثم تكلم عن تطور الثقافة العربية في القرن العشرين، وعن الإسلام في لاغوس وجنوب نيجيريا، وعن المكتبات والمطابع العربية في نيجيريا، وعن الحياة الاجتماعية المتصلة بالدين.

ويعقد المؤلف باباً للإنتاج الأدبي في القرن التاسع عشر، فيذكر أعلامه ومؤلّفاتهم، ثم يجيء إلى الإنتاج الأدبي في القرن العشرين فيذكر أعلامه وإنتاجهم، ويورد أمثلة مقتطفة من شعرهم ونثرهم.

ويعقد المؤلف باباً لأثر اللغة العربية على اللغتين الحوسوية والفلاّنية، ويولي مبحثه هذا عناية فيورد ما يطلق عليه اسم (معجم) لكلمات استعارتها الحوسوية والفلانية من اللغة العربية. وقد وقف المؤلف على نحو ألف وخمسمائة من المفردات استعارتها الحوسوية من العربية، وكذلك الشأن مع الفلاّنية.

ويختم المؤلف كتابه بمبحث عن مستقبل اللغة العربية في نيجيريا الذي يلخصه في أن الاستعمار قد ضرب على نيجيريا ستاراً حديدياً حال بينها وبين العالم الإسلامي الخارجي، لكن الاستقلال رسم وضعية أخرى بسبب تنبه الشعب لمخططات الاستعمار، فصار إرسال الطلاب إلى البلاد العربية بدفعات كبيرة، ويرسم المؤلّف مستقبلاً زاهراً للغة العربية في نيجيريا.

ثم يذيّل كتابه بمجموعة ملاحق منها كتابا الشيخ الكانمي الأول والثاني، ومناهج اللغة العربية في نيجيريا الشمالية سنة 1958م، وحصر للمدارس القرآنية والمعاهد العلمية في الإقليم الغربي من نيجيريا، وبعض قصائد لمشاهير من شعراء نيجيريا.

4 ـ تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم ـ برنو[7]:

مؤلفه: إبراهيم صالح بن يونس بن محمّد الأول بن يونس بن إبراهيم بن محمّد المكي بن عمرو الحسيني.

«وهو كتاب جليل يؤرّخ لفترات هامة من تاريخ أواسط بلاد السودان ويتعرّض في شيء من التفصيل لانتشار الإسلام والثقافة العربية وتفاعلها مع العادات والتقاليد الإفريقية في تلك المنطقة»[8]. ويضيف كاتب التصدير لذلك الكتاب: «ورغم أن هذا الكتاب يختلف بعض الشيء عن الكتب التي درجت الشعبة على نشرها ضمن سلسلة التراث السوداني، والتي تعالج موضوعات سودانية صميمة، إلاّ أن الوشائج الثقافية التي تربط السودان بجمهورية نيجيريا وتشاد والكاميرون، وما يربط عرب الشوّا بقبائل البقارة السودانية من أواصر عرقية ما يبرّر نشره في هذه السلسلة»[9].

يقول مؤلف الكتاب في مقدمته: «إن القبائل العربية المنحدرة من الشرق إلى السودان ثم إلى وادي وباغرمي وكانم، قد دخلت هذه البلاد قبل القرن الخامس عشر والسادس عشر، ووجود العرب في هذه البلاد أمر لا يشك فيه أحد له معرفة بهذه البلاد، والعرب يملأون مساحة كبيرة في نيجيريا كالحال في تشاد»[10].

ويأتي المؤلّف على ذكر بداية هجرة القبائل العربية من الشرق إلى الغرب، فيحدد ذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بعد فتح مصر، وكيف شق العرب والإسلام طريقهم إلى أفريقيا؟ فيعدد الطرق البريّة التي سلكوها ثم البحرية إلى الشمال الإفريقي والساحل الشرقي لإفريقيا، ويخمّن أن العرب في

---

(7) إبراهيم صالح الحسيني، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم ـ برنو نشرته مرقوناً على الآلة الكاتبة: شعبة أبحاث السودان، 1970.

(8) من تصدير للمصدر السابق، بقلم: يوسف فضل حسن، ص: أ.

(9) من التصدير، ص: أ.

(10) إبراهيم صالح الحسيني، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم ـ برنو، مصدر سابق، ص: 1.

هجراتهم لا بد وأن يكونوا قد سلكوا هذه الطرق أو بعضها على الأقل حتى وصلوا إلى تلك الأجزاء الشاسعة من القارة[11].

ويروي كيف شق العرب والإسلام طريقهم إلى إفريقيا؟ وذلك بعد الفتح، فهو يرى أن كل الهجرات وفدت على مصر، ومن بعدها صار تفرقها عبر الطرق المختلفة، فبعضها سلك غرباً متجهاً إلى الشمال الإفريقي؛ مصر برقة طرابلس تونس المغرب الأوسط إلى بلاد السوس الأقصى حتى مصب نهر السنغال. وطريق آخر يبدأ من أسيوط مارّاً بواحات مصر في الصحراء الغربية ويجتاز جنوب بلاد المغرب حتى يصل إلى غرب إفريقيا[12].

وطريق آخر من أسوان إلى جانب البحر الأحمر حتى كسلا ثم إلى الجنوب وإلى الغرب، وهذا الذي يخترق السودان إلى الغرب يمرّ إلى دارفور ثم وادي وباغرمي، حتى كانم ـ برنو، ثم يعدد بعض الطرق ومن بينها طريق: طرابلس عبر الصحراء إلى كانم وبرنو غربي بحيرة تشاد.

ويذكر أحوال العرب في طريقهم إلى السودان، والعرب والإسلام في النوبة، وفي علوة وفي كردفان والنيل الأزرق وفي دارفور وفي وداي وفي باغرمي. ويخصّ كانم ـ برنو بتفصيل يستعرض تاريخها وبعض ملوكها، ويفصّل القول في أحداث القرن التاسع عشر، ومجيء الاستعمار الفرنسي والإنجليزي، ولا تكون هناك فرصة لذكر العرب وأدوارهم إلاّ ويأتي عليها الكاتب. حتى يصل إلى ذكر مناطق وجودهم الحالي في برنو، وأحوالهم الاجتماعية والدينية، وأنساب وتقاليد العنصر العربي الوافد إلى منطقة بحيرة تشاد وبرنو.

5 ـ موجز تاريخ نيجيريا[13]:

مؤلفه: آدم عبد الله الألوري، وهو أحد المسلمين النشطين ثقافياً منذ

---

(11) انظر: إبراهيم صالح، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم ـ برنو، مصدر سابق، ص: 15.

(12) هذا الطريق لم أطّلع عليه من خلال قراءاتي المتواضعة عن المنطقة وتاريخها.

(13) آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، منشورات: دار مكتبة الحياة ـ بيروت، 1965م.

الفترة قبل استقلال نيجيريا، أنشأ مركز التعليم العربي بأغيغي (بضواحي لاغوس) سنة 1952م، له عدد من المؤلّفات ـ حسبما أثبت في صدر كتابه هذا ـ هي: شرح الميداني في تصريف الأفعال، والإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، ونظام التعليم العربي في نيجيريا، وعون الإمام الراتب في الأدعية والأذكار، والمقطوعات الأدبية في المحفوظات الشعرية، ومشاكل التعليم العربي في نيجيريا، والإسلام والتقاليد الجاهلية، وأهداف مركز التعليم العربي، والدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم، والإسلام بين الدعاة والأدعياء.

نهج المؤلف في كتابه موجز تاريخ نيجيريا، منهج تأليف المعجمات في تبويب مشتملاته، وقصده تقريب المراد للقارىء. وبذا فإنه يصف كتابه بأنّه قاموس صغير يلقي الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه.

يقدم الألوري كتابه بتواضع سالكاً له على أنه محاولة للكتابة عن شيء من تاريخ المنطقة المجهول الذي ندرت فيه التآليف. ويصدّر كتابه بذكر أجناس البشر، ويلمع إلى تاريخ نيجيريا القديم، فينطلق من التسمية (النيجر)، ويشير إلى صلة نيجيريا (التسمية الحديثة) بمصر القديمة، ويذكر إفريقيا الغربية عند العرب الذين عرفوها بأنّها السودان الغربي، وعرفوا نهرها: نهر النيجر، بأنه: نهر نيل السودان، ونظراً لندرة ما كتب عن المنطقة في تاريخها القديم فإن المؤلف يقف عند حد التأكيد على أن ما كتب عنها اعتورته أغلاط تاريخية.

ثم يجيء إلى الإشارة لتاريخ نيجيريا في العصور الحديثة؛ فيذكر موقعها ومساحتها وسكّانها وتقسيماتها الإدارية وأهم قبائلها، ثم يذكر الأنهار وطبيعة الأرض والمناخ والأمطار والمعادن وأصل السكان.

وفي باب الألف يذكر المؤلّف: الأدب النفسي والأساطير والأحاجي والأمثال والأشعار والأدب العربي في نيجيريا، والإسلام، والاستعمار.

وفي باب الباء يذكر: البلاد، وإبادن (إحدى مدن نيجيريا)، وتأسيس المدينة.. وهكذا عبر الحروف كلما كانت هنالك علاقة للعربية والإسلام بالمنطقة، فإن المؤلف يأتي على ذكرها، ومن أمثلة ذلك، قوله: «ومن شمال إفريقيا وشرقيها استفاض الناس إلى جنوبها وغربها لا العكس، ولقد كانت مصر

والحبشة مهد الحضارة الأولى للإنسان، وكان شمال إفريقيا موطن الفينيقيين والقرطاجيين والروم والبربر والعرب منذ آلاف السنين ومن تلك النواحي استفاض الناس إلى سائر الجهات الباقية في إفريقيا»[14]. وإن كان في هذه العبارة شيء من الخلط، فلم تكن مصر والحبشة وحدهما مهد الحضارة الإنسانية، كما أن الفينيقيين هم القرطاجيون، والبربر هم عرب هاجروا قديماً، وكذا فإن شمال إفريقيا ليست موطناً أصلياً للرومان.

6 ـ حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا[15]:

من سنة 1804 إلى سنة 1966م

مؤلفه: الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنثي، أحد كبار الشخصيات العلمية النيجيرية المعاصرة، شغل رئيساً لجامعة سوكوتو ثم سفيراً لبلاده.

والكتاب كما يرد في تقديم له: «كتاب يمتاز بالمنهجية الصارمة والعلمية الدقيقة في تناول القضايا»[16]. ونظراً لما للغة العربية من أهمية كبيرة في نيجيريا ولما لها من تاريخ قديم لذلك كان جهد المؤلف منصباً على توضيح ذلك التاريخ وإن كان حدد الفترة الزمنية من سنة 1804 إلى سنة 1966م، لكن مع ذلك كان هناك عرض لبدايات دخول العرب واللغة العربية إلى المنطقة، ثم دخول الإسلام وتمكن العربية كل ذلك حسب فترات تاريخية كانت تزدهر فيها الثقافة العربية الإسلامية، كما تنتكس أحياناً.

ويثبت المؤلف الصلة الوثيقة بين شمال إفريقيا والسودان الغربي وبلاد نيجيريا الحالية على وجه أخص، فيعدد ـ رجوعاً إلى المصادر ـ أربعة من الطرق التي كانت تسلكها القوافل منذ القرون الميلادية الأولى، وهذه الطرق: طريق من

---

(14) آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المصدر السابق، ص: 60.

(15) شيخو أحمد سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ـ الرياض ط: 2، 1993م.

(16) شيخو أحمد سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية المصدر السابق، من تقديم بقلم الدكتور أحمد مكي، ص: 12.

سجلماسة إلى ولات ثم تتجه إلى بلاد السنغال، وطريق من غدامس إلى بلاد الهوسا عن طريق غات، وأهير، وطريق من طرابلس إلى برنو ونهر تشاد عن طريق فزان وكَوَار، وطريق من قورنيه (بالجبل الأخضر) إلى وَدَاي عن طريق الكفرة. والمؤلّف يرى أن الاتصال التجاري كان الأساس للعربية في إفريقيا حيث تسربت المفردات اللغوية بحكم التعامل التجاري، وبحكم أن اللغة العربية أرقى من اللغات المحلية، واندمجت تلك المفردات في اللغات المحلية وخاصة بعد انتشار الإسلام الذي مكّن لها بصورة أكبر وأضفى عليها قداسة.

ويسهب المؤلّف في تناوله لدخول الإسلام إلى غربي إفريقيا ونيجيريا على وجه أخص، ثم يأتي إلى تحديد فترات تاريخية يتناول فيها أوضاع اللغة العربية في نيجيريا (بتسميتها الحديثة)، فيذكر فترة تأسيس الممالك والولايات، ثم فترة الوفود والحركات الثقافية الإسلامية، ثم فترة دولة سوكوتو، ثم فترة الاستعمار، انتهاء بفترة الاستقلال.

وفي الباب الأول يأتي المؤلّف على دور الإسلام في نشر اللغة العربية، ويذكر الشيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية، وبحسب المناطق يفرد فصولاً للحديث عن اللغة العربية. وفي الباب الثاني يتحدّث عن اللغة العربية خلال فترة الاستعمار البريطاني 1903 ـ 1960م، فيذكر بدايات التبشير المسيحي والتعليم الغربي، ويذكر سياسة الحكومة نحو التعليم العربي، وظهور المدارس العربية الحديثة وتطور اللغة العربية نتيجة الحركات السياسية، ثم يفرد فصلاً للحديث عن اللغة العربية بعد الاستقلال 1960 ـ 1966م.

وفي الباب الثالث يتكلّم عن الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر، فيعدد أغراضه من مدح ورثاء وجهاد وشعر تعليمي، ويعدد للنثر أنواعاً هي النثر التعليمي والنثر الديواني. ويفرد للأدب العربي النيجيري في القرن العشرين باباً يسوق فيه أغراض الشعر والنثر، وبعض خصائص اللغة العربية في نيجيريا في تلك الآونة.

وفي الباب الخامس يتكلّم عن دور الجامعات والمعاهد العليا في نشر

اللغة العربية، ثم يردف كتابه بمجموعة من الملاحق ذات الصلة بموضوع بحثه، منها: تقرير لجنة التعليم الإسلامي العالي، وطائفة من القصائد، ورسالة الوزير محمّد جنيد وبعض الخرائط.

ولا يسع المتحدّث عن الكتاب إلاّ أن يقول ما قاله الناشر فيه من أنه يتناول تاريخ أمة عريقة على امتداد القرن التاسع عشر كله وحتى العقد السابع من القرن العشرين، فيبيّن كيف اتخذت هذه الأمة الإسلام شريعة وقانوناً والعربية لغة ودولة وأدباً وثقافة.

وكيف أن الكتاب يصحبنا في رحلة تاريخية تكشف لنا نضال اللغة العربية في مواجهة الحكم الأجنبي، وكفاح المسلمين في إعلاء شأن الدين، كما يعرّفنا على الأدب النيجيري وخصائصه وألوانه حتى أصبح تياراً متميزاً في حركة اللغة العربية.